

اللغة الإلهية، عدم التماثل الوجودي، والانضباط الحضاري للمعنى (دراسة قرآنية فلسفية في طبيعة الخطاب الإلهي)

د. ممدوح محمد سلامة

mmsalama@mms4aim.com

Table of Contents

اللغة الإلهية، عدم التماثل الوجودي، والانضباط الحضاري للمعنى	1
الملخص	2
1. المقدمة	2
2. اللغة الإنسانية: المعنى والإشارة	3
3. الخطاب الإلهي: معنى بلا صوت	4
4. اللغة الإلهية وعدم التماثل الوجودي: معنى بلا كيفية	6
5. وساطة الملائكة: نقل منظم للمعنى	10
6. محاولات اعتراض الجن: نظام الأمن الكوني	11
7. عالمية اللسان: خطاب غير عربي بلغة عربية مُحكمة	11
8. الفكر واللغة: استقلال وتوافق	13
9. لماذا أنزل القرآن باللغة العربية؟	14
10. الدلالات الحضارية	14
11. الخاتمة	15
12. مقترح لأبحاث مستقبلية	15
عن المؤلف	17
Abstract	18

الملخص:

يتناول هذا الفصل بنية التواصل في القرآن بوصفها إطاراً معرفياً متكاملًا يربط بين المعنى، واللغة، والوجود، وبناء الحضارة. وينطلق من فرضية مركزية مفادها أن الوحي القرآني يقوم على أولوية المعنى على الإشارة، وأن التواصل الإلهي يتم عبر إلقاء دلالي مباشر في الوعي الإنساني، لا عبر نقل صوتي أو وساطة مادية. ومن خلال تحليل نصوص قرآنية محورية، يُبين الفصل التمييز الجوهرى بين الخلق والأمر، ويستكشف دلالات وصف الوحي بأنه «روح من أمر الله»، بما يؤسس لفهم غير مادي لطبيعة التنزيل.

كما يناقش الفصل إشكالية اللغة الواردة في وصف الأفعال الإلهية، ويطور مفهوم اللا-تمائل الوجودي بين المتكلم الإلهي واللغة البشرية، مبرراً أن الألفاظ المكانية والزمانية في القرآن تُستخدم لتقريب المعنى إلى الإدراك الإنساني دون أن تُحيل إلى كيفية أو آلية في ذات الله. ويُظهر البحث كيف يتجنب المنهج القرآني انحراف التشبيه والتعطيل معاً، مؤكداً أن اللغة الدينية تثبت الحقيقة والعلاقة لا الكيفية والتجسيم.

ويتناول الفصل كذلك دور الوساطة الملائكية بوصفها نقلاً منظماً للمعنى داخل النظام الكوني، ومحاولات الجن لاعتراض بعض عناصر القضاء الإلهي بوصفها مسألة معلوماتية لا صوتية، بما يكشف عن نموذج قرآني متقدم لأمن الاتصال. كما يحلل ظاهرة عرض أقوال أمم غير عربية في صياغة عربية قرآنية محكمة، مستنتجاً أن القرآن لا يترجم الأصوات بل يعبر عن المعاني الخالصة في وعائها اللغوي الأمثل.

وفي ضوء هذه المعالجة، يستخلص الفصل دلالات حضارية عميقة تتصل بأمن المعلومات، والحوكمة متعددة الطبقات، وأولوية المعنى في التواصل، ودور اللغة في تشكيل الوعي والحضارة. ويُختتم بطرح بحثي استشرافيّ منضبط أخلاقياً ومنهجياً، يستكشف - على نحو نظري - إمكان دراسة تمثيلات المعنى القرآني عبر أدوات معرفية حديثة، مع الحفاظ الصارم على التمييز بين الوحي الإلهي والتفسير البشري.

1. المقدمة

يُعدّ موضوع التواصل من أعمق الموضوعات القرآنية وأقلها تناوؤاً من زاوية تحليلية شاملة؛ إذ يعرض القرآن نماذج متعددة لكيفية انتقال المعنى: كيف يلقي الله تعالى المعنى إلى أنبيائه، وكيف تنقل الملائكة الأوامر الإلهية، وكيف تحاول الجن اعتراض بعض المعلومات الكونية، وكيف يعبر الإنسان عن أفكاره عبر اللغة.

ولا يكتفي القرآن بسرد هذه العمليات، بل يدمج في ثناياها نموذجاً حضارياً متكاملًا للإدراك، وأمن المعلومات، وبنية المعنى، وآليات الاتصال. ويهدف هذا الفصل إلى بناء إطار موحد يربط بين الخطاب القرآني، وعلوم الإدراك الحديثة، والبنية الميتافيزيقية للعالم غير المشهود.

ويجمع الفصل بين:

1. الأوصاف القرآنية للخطاب الإلهي
2. معطيات من علم الإدراك المعاصر
3. ميتافيزيقا الملائكة والجن

4. طبيعة اللغة وصيغة الوحي
5. عرض القرآن لحوارات غير عربية بلغة عربية مبينة
6. البنية الكونية الحامية للأمر الإلهي
7. الدروس الحضارية المستنبطة من هذه المنظومة

2. اللغة الإنسانية: المعنى والإشارة

تقوم عملية التواصل الإنساني على بنية متعددة المستويات، تمرّ بعدة مراحل مترابطة:

- **النية:** تشكّل المعنى في الذهن
- **الترميز:** اختيار الألفاظ من اللغة
- **النطق:** إنتاج الموجات الصوتية
- **الاستقبال:** التقاط الاهتزازات السمعية
- **فك الترميز:** إعادة بناء المعنى في الدماغ

غير أن المعنى ذاته مستقلّ عن أي لغة بعينها أو إشارة مادية محددة. فالفكرة تكون قائمة في الذهن قبل التعبير عنها بالعربية أو الإنجليزية أو الصينية. وتؤكد نتائج علم الأعصاب المعرفي أن تنشيط المعنى في الدماغ يسبق عادةً عملية الترميز اللغوي، مما يدل على أن الدماغ يعالج المفاهيم بوصفها وحدات أولية، لا الألفاظ. وعليه، فالكلمات والأصوات ليست سوى وسائط تُلصق ببنى دلالية داخلية قائمة سلفاً، ويمكن جوهر التواصل في المحتوى الدلالي لا في الموجات الصوتية ذاتها.

ويمكن توضيح هذا الفرق بين المعنى والإشارة من خلال مثال معاصر مألوف لا يثير إشكالاً لدى أحد. فعندما يرسل شخص رسالة صوتية إلى آخر عبر الهاتف أو تطبيقات مثل «واتساب»، فإن المتلقي يسمع كلمات المرسل وصوته، وينسب الرسالة إليه بيقين تام. ومع ذلك، فإن المتلقي —من الناحية الفيزيائية— لم يسمع صوت المتكلم مباشرة. فما انتقل بين الطرفين في الحقيقة ليس الصوت، بل سلسلة من الإشارات الرقمية المشقّرة، تم إرسالها ومعالجتها ثم إعادة تركيبها صوتياً في جهاز الاستقبال.

ومع هذا، لا يظن أحد أن المرسل «لم يتكلم حقيقة»، ولا يتوهم أحد أن الأحبال الصوتية أو الموجات الصوتية قد انتقلت مادياً من شخص إلى آخر. فحقيقة التواصل محفوظة، رغم أن آلية الإرسال مختلفة جذرياً عن الكلام المباشر وجهاً لوجه. ويظل المعنى، والقصد، ونسبة القول إلى قائله، ثابتة، في حين تتغير وسيلة النقل وطبيعتها.

وتكشف هذه التجربة اليومية عن مبدأ أساسي: **صحة التواصل لا تتوقف على تماثل الشروط الفيزيائية بين المرسل والمتلقي، ولا على الآلية الحسية للإرسال، بل على سلامة إيصال المعنى وإدراكه.** ويُعدّ هذا التمييز بين المعنى الداخلي والإشارة الخارجية أساساً ضرورياً لفهم طبيعة التواصل الإلهي في القرآن الكريم. فالوحي لا ينقض بنية التواصل الإنساني، بل ينطلق منها ويتجاوز حدودها. ومن هنا، يميّز الإطار القرآني بين مستويات متعددة:

- المعنى الإلهي، الصادر عن مصدر متعالٍ عن اللغة والصوت
- النقل الملائكي، العامل ضمن نظام الخلق
- الصياغة اللغوية الإنسانية، بوصفها الشكل المُدرَك للتعبير
- محاولات استراق السمع من الجن، المتجهة إلى قنوات المعلومات لا إلى المعنى ذاته

وإذ يُقرَّر منذ البداية أن المعنى يمكن أن يُنقل نقلاً حقيقياً من دون أن يكون كلاماً مباشراً بالمعنى الفيزيائي، يصبح من الممكن—من دون صدمة ذهنية أو قلق عقدي—فهم كيف يكون التواصل الإلهي حقاً وواقعاً، مع كونه غير مقيد بالموجات الصوتية، ولا بالأعضاء البيولوجية، ولا باشتراك الخالق والمخلوق في الشروط الوجودية نفسها.

3. الخطاب الإلهي: معنى بلا صوت

تقدّم سورة غافر أساساً واضحاً لنموذج غير مادي للوحي، إذ يقول تعالى:

﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (غافر: 15)

تصف الآية الوحي بأنه «يُلْقَى» (يُلْقَى)، لا بأنه يُنطق أو يُسمع على هيئة صوت. ففعل الإلقاء في الاستعمال القرآني يدل على وضع مباشر لشيءٍ في شيءٍ آخر دون وساطة حسية. وقد استُخدم هذا الفعل في القرآن لإلقاء الخوف في القلوب، وإلقاء الحق في العقول، وإلهام مريم، وإنزال السكينة في قلوب المؤمنين، وكلها عمليات لا تتطلب ذبذبات صوتية أو وسائط سمعية. ومن ثمَّ يُصوّر الوحي إلى الأنبياء بوصفه منحاً دلاليّاً مباشراً، لا نقلاً صوتياً.

وُعمّق القرآن هذا التصور من خلال تمييزه الصريح بين الخلق والأمر:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 54)

فالخلق هو الإيجاد من العدم، أما الأمر فهو تنظيم الوجود، وضبط طبيعته، وحركته، وغاياته. وقد فهم كثير من علماء التراث هذا التفريق على أن الله لا يقتصر على بدء الوجود، بل يقوم على استدامته وتدييره المستمر وفق نظام مقدّر.

وتشكّل المناقشات الكلامية في العصر العباسي حول مسألة خلق القرآن أو قدمه خلفيةً مهمّة لفهم لغة القرآن عن ذاته. فاللافت أن الله يصف الوحي بأنه روح من أمره، لا من عالم الخلق:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا آتَيْتَ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52)

وحين يُسأل النبي ﷺ عن الروح، يُؤمر أن يقول:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: 85)

تشير المناقشات الكلاسيكية والمعاصرة إلى أن وصف الشيء بأنه «من الأمر» يدل على نمط وجود مرتبط بالفعل الإلهي المباشر، الفوري، وغير المادي، لا بالعمليات الفيزيائية المتدرّجة. وإذا قرئت هذه الآية في سياق الآيات (86-89) من سورة الإسراء، يتضح أن هذه الروح مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالقرآن المنزل نفسه، بوصفه وحياً محفوظاً متعذراً الإتيان بمثله:

﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا • إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا • قُل لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا • وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾
(الإسراء: 86-89)

وعليه، يبرز القرآن بوصفه روحاً حية من الأمر الإلهي: أزلّي الأصل، نير الطبيعة، وهادياً للخلق بالحق والنور. فهو يتجاوز الزمن من حيث مصدره، ويشكل التاريخ من حيث أثره، ويعمل هدايةً غير مخلوقة تحكم العالم المخلوق، مع تجلّي كلمة الله الخالدة في لغة البشر.

ويُظهر استعمال القرآن لمفهوم الأمر في عبارات مثل:

﴿يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ﴾

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾

﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾

دلالات واضحة، منها:

- الإرادة الإلهية،
- التنفيذ الفوري،
- السببية غير المادية.

ويُعزّز ذلك الاستنتاج القائل إن الوحي إرادي المصدر، مباشر، غير صوتي، ومحصن بطبيعته. وباجتماع هذه العناصر تتكوّن عقيدة قرآنية متماسكة: الوحي النبوي هو إلقاء للمعنى في الوعي؛ لا أمواج، ولا أصوات، ولا ترجمة، ولا وسائط مادية.

غير أن القرآن يصرّح أيضًا بقوله تعالى:
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 164)

وترفض العقيدة الإسلامية الكلاسيكية أي قراءة تجسيمية لهذه الآية؛ فالقرآن لا يوحى بأن الله يستعمل حبالاً صوتية، أو هواءً، أو اهتزازاً. ومن منظور معرفي، يمكن فهم ذلك على أنه خلق للفهم مباشرة في وعي موسى، كما يخلق الله الرؤية دون ضوء خارجي (كما في الرؤيا)، ويخلق الحياة دون أسباب بيولوجية (كما في خلق آدم).

ويُفسّر هذا النموذج:

- استحالة اعتراض أي مخلوق للوحي الموجّه إلى الأنبياء،

- تجاوز الوحي للقنوات الحسية،
- القطع واليقين المطلق عند النبي،
- كون النفس هي المتلقي المباشر للمحتوى الدلالي.

كما يتسق هذا التصور مع الروايات التي تصف الوحي بأنه حضورٌ مهيب يعقبه وضوحٌ كامل في المعنى، لا مجرد تسلسل لأصوات مسموعة.

والأهم من ذلك، أن هذا النموذج القائم على أولوية المعنى ولا صوتية الوحي يوقر الأساس الضروري لفهم كيفية التعامل مع لغة القرآن حين تتحدث عن الله نفسه. فإذا لم يكن الوحي صوتًا أو اهتزازًا أو نقلًا ماديًا، فلا يجوز أن تُفهم أوصاف الفعل الإلهي بوصفها عمليات فيزيائية. ومن هنا تنبثق مباشرة مسألة اللاتماثل الوجودي بين الحقيقة الإلهية واللغة البشرية، وهي مسألة لا بد من معالجتها قبل الانتقال إلى بحث دور الوساطة الملائكية.

4. اللغة الإلهية وعدم التماثل الوجودي: معنى بلا كيفية

كلُّ حضارة تقوم في جوهرها على نظرية في المعنى. فكيفية فهم اللغة – ولا سيما اللغة المقدسة – هي التي تحدد كيف تُشرعن السلطة، وكيف يُؤسس القانون، وكيف يُفهم الزمن والسببية، وكيف تُؤطر المسؤولية الإنسانية.

ينطلق الإطار القرآني للحضارة من تمييز حاسم: الله يُخاطب الإنسان خطابًا ذا معنى، دون أن يشترك معه في شروط الوجود. وهذا التمييز ليس قضيةً لاهوتيةً محضة، بل هو تمييز حضاري عميق. فعندما يُغفل، تنزلق المجتمعات إما إلى تشبيه الإله بالإنسان، أو إلى تأليه الإنسان ذاته، وكلا المسارين يقوّض النظام الأخلاقي ويقود إلى الانهيار.

إن الوحي الإلهي لا يقع ضمن مستوى لغوي أو وجودي مشترك بين الله والإنسان. فهو ليس حوارًا بين طرفين متكافئين، ولا تبادلًا داخل حقلٍ مفهومي واحد، بل هو انحدارٌ أحادي الاتجاه للمعنى من المطلق إلى الممكن.

والنموذج الذي تم تأسيسه سابقًا للوحي – بوصفه إلقاءً للمعنى مباشرةً في الوعي دون صوت، أو اهتزاز، أو وساطة مادية – يثير سؤالًا ضروريًا، كثيرًا ما يُغفل: كيف ينبغي فهم اللغة التي تبدو مكانية أو زمانية أو فعلية عندما تُنسب إلى الله نفسه؟

يتحدث القرآن عن الله بأنه «ينزل»، و«يأتي»، و«استوى على العرش»، و«يتكلم»، و«يأمر». وهذه التعابير مفهومة للإنسان لأنها مستمدة من خبرته الوجودية. غير أن قابلية الفهم لا تستلزم تماثلًا وجوديًا. ففهم اللفظ لا يبيح إسقاط الآليات الفيزيائية أو المكانية أو الزمانية الكامنة فيه على من استعمله.

فاللغة البشرية، بحكم طبيعتها، مقيدة بفئات مخلوقة، من بينها:

- الاتجاه والبعد،
- الحركة والتتابع،
- القبل والبعد،
- العلو والسفل.

أما الله، فليس واقعًا ضمن هذه الفئات، إذ وُجد قبل الزمان والمكان، وهو الذي أوجدهما. وحين يستخدم القرآن مثل هذه اللغة، فإنه لا يُدخل الله في الإطار المفهومي الإنساني، بل يُدخل المعنى إلى دائرة الفهم الإنساني.

ويؤسس هذا مبدأين حاسمين:

- الوحي يثبت الواقع والعلاقة، لا الكيفية ولا الآلية.
- اللغة يمكن أن تكون أداة للفهم، دون أن تكون قادرة على تعريف المتكلم أو الإحاطة به.

وقد يفيد مثالٌ تقريبي في توضيح هذا اللا-تماثل، على أن يُفهم على أنه تمثيل إيضاحي لا وصف لحقيقة إلهية.

تخيل كائنًا ثلاثي الأبعاد يتواصل مع عالم ثنائي الأبعاد. سكان ذلك العالم لا يدركون إلا الطول والعرض؛ أما مفاهيم مثل «فوق» و«تحت» أو «العمق» فلا وجود لها في إطارهم الوجودي. ولكي يكون مفهومًا لهم، لا بد للكائن الثلاثي الأبعاد أن يتحدث إليهم بلغة ثنائية الأبعاد خالصة. فإذا قال: «أقرب» أو «أبتعد»، أدركوا أثر التفاعل، مع أن الفعل نفسه لا يقع داخل مستواهم الوجودي.

فإذا حاول سكان العالم الثنائي أن يصفوا الكائن الثلاثي الأبعاد بعكس هذه اللغة، متخيلين إياه يتحرك داخل مستواهم، أو يشغل موقعًا، أو يمر بتغيرات اتجاهية، فقد وقعوا في خطأ تصنيفي. كانت اللغة صادقة بوصفها أداة للفهم، لكنها تصبح خاطئة إذا استُخدمت أداةً للتعريف.

والمثال – مع محدوديته – كاشف: يمكن للغة أن تُكَيِّف مع عالم المتلقي المفهومي دون أن يعني ذلك أن المتكلم محصور داخل ذلك العالم. وعلى هذا النحو، حين يتحدث القرآن عن «نزول» إلهي، أو «مجيء»، أو «استواء»، فإنه يبلِّغ تفاعلًا حقيقيًا بلغة قابلة للإدراك البشري، دون أن يستلزم أن الله خاضع للجهة، أو البعد، أو الحركة كما هي حال المخلوقات.

ويظهر الخطأ التصنيفي حين تُنقل خصائص مستوى وجودي إلى مستوى آخر. وفي علم الكلام، يقع هذا حين تُعكس الفئات اللغوية البشرية وتُسَقَط على ذات الله أو أفعاله. ومن أكثر صور هذا الخطأ شيوعًا التعامل مع اللغة الزمنية الواردة في حق الله.

فتعابير مثل «قضى الله»، أو «أذن الله»، أو «عاقب الله» كثيرًا ما تُفهم على أنها أحداث تقع ضمن تسلسل زمني في ذات الله. وهذا الفهم معيب من حيث المفهوم؛ فالزمن ليس إطارًا محايدًا للوجود، بل

هو بُعد مخلوق. وإسناد التعاقب الزمني إلى الله يعني نسبة التغير والانتقال والحدوث إليه، وهي صفات تناقض الكمال الإلهي.

ومن منظور علم الكلام:

- علم الله، وإرادته، وقضاؤه أزلية غير متغيرة.
- التسلسل الزمني لا يوجد إلا في الآثار المخلوقة، لا في الفعل الإلهي ذاته.
- وعليه، فإن اللغة الزمنية في الوحي تنظّم فهم الإنسان، لا حقيقة الوجود الإلهي.

وتاريخيًا، أدى إغفال هذا التمييز إلى انحرافين متقابلين:

1. التشبيه / *tashbīh* (تشبيه): إسقاط أنماط الوجود الإنساني على الله.
2. التعطيل / *ta'ṭīl* (تعطيل): نفي الصفات الإلهية ذات المعنى فرارًا من التشبيه.

ويتجنب المنهج القرآني كلا الطرفين، فيثبت المعنى ويمنع المماثلة. فعندما يقول الله إنه «ينزل» أو «استوى»، لا يصف القرآن كيفية الفعل في ذاته سبحانه، بل يبيّن كيف ينبغي أن يفهم التفاعل الإلهي من قبل كائنات زمانية ومكانية. فاللغة هنا ترسخ اليقين بالحضور والسلطان والفاعلية، دون أن تكشف عن كيفية الفعل الإلهي، التي تقع وراء حدود اللغة والتخيّل.

وقد طوّر علم الكلام السني استجابةً منضبطة للتشبيه، تمثّلت في مبدأ:

- الإثبات بلا كيف (إثبات بلا كيف)،
- والتنزيه بلا تعطيل (تنزيه بلا تعطيل).

فظهرت صيغ مثل «نزول بلا حركة» و«استواء بلا جلوس». وقد نجحت هذه الصيغ في سدّ باب التشبيه الحسي الفجّ. غير أن هذه التعبيرات – على أهميتها – تبقى محمولة على نحو لغوي مكاني تسعى في الوقت ذاته إلى تقييده؛ إذ يُنفي فيها أحد لوازم الفعل، لا الفئة المفهومية ذاتها. فالتخيّل يُقيّد، لكن الافتراض اللغوي العميق – وهو أن الفعل الإلهي لا بد أن يُوصف ضمن نحو الفعل الإنساني – غالبًا ما يبقى دون مساءلة.

فالتحدث عن «نزول» مع نفي الحركة يُبقي بنية النزول المكانية قائمة، وإن نُفي أحد لوازمها. ولم يكن همّ علم الكلام الكلاسيكي تفكيك هذا الإطار اللغوي ذاته، بل كان تركيزه على السلامة العقدية لا على بناء فلسفة لغة شاملة.

أما المنهج القرآني فيتجاوز ذلك. فهو لا يكتفي بنفي اللوازم الخاطئة، بل يعيد توجيه وظيفة اللغة نفسها. فهذه التعابير ليست أوصافًا وجودية تنتظر تنقيحًا، بل هي إشارات معرفية مُعايرة مع الإدراك الإنساني. إنها تضمن أن الله حق، وفاعل، ومالك، وحاضر، دون أن تفترض انتقالًا مكانيًا، أو تعاقبًا زمنيًا، أو تغييرًا ذاتيًا.

وعليه، فعندما يستخدم الوحي أفعالاً مكانية أو حركية في حق الله، فإنه لا يدعو إلى إعادة بناء ميتافيزيقي، بل يضبط الخيال ويُرسِّخ اليقين. فصدق العبارة كامن في ما تثبته من حقيقة وسلطان، لا في أي آلية يمكن للعقل البشري تصورها.

وهذا اللا-تماثل الوجودي بين المتكلم واللغة ليس نقصاً في الوحي، بل هو كماله. فهو الذي يتيح للمعنى أن يبلغ العقل الإنساني دون أن يُحبَس الإله داخل فئات بشرية.

وقد يعترض معترض قائلًا: *إنذا كان الله قد قال ذلك، فكيف نمتنع عن الوصف؟* والجواب يكمن في ضبط جهة القصد. نعم، قال الله ذلك، لكنه قاله:

- لإثبات حقيقته،
- ولإقامة المسؤولية،
- ولتثبيت العبادة على اليقين،

لا ليقدم وصفًا حرفيًا لكيفية فعله، وهي كيفية تتجاوز اللغة والتخيّل. فإثبات النص يحفظ الوحي، والامتناع عن البناء الوجودي يحفظ التنزيه. وليس بين الأمرين تعارض، بل هما متلازمان بالضرورة.

كل حضارة تقوم على تصورٍ للمعنى. وطريقة فهم اللغة—ولا سيما اللغة المقدسة—تحدد كيفية بناء السلطة، وصياغة القانون، وفهم الزمن والسببية، وتأطير المسؤولية.

وينطلق الإطار القرآني من تمييز حاسم: **أن الله يخاطب الإنسان خطابًا مفهومًا دون أن يشترك معه في شروط الوجود.** وعندما يُهمَل هذا التمييز، تُؤنَسن الألوهية أو تُؤَلَّه الإنسانية، ويختل الميزان الأخلاقي. فالخطاب الإلهي ليس حوارًا بين متماثلين، بل تنزيلٌ أحادي الاتجاه للمعنى من المطلق إلى المحدود.

وحين يتحدث القرآن عن نزول، أو مجيء، أو استواء، فإن هذه الألفاظ مفهومة للإنسان لأنها مأخوذة من تجربته، لكن الفهم لا يعني التماثل.

فاللغة البشرية مشروطة بـ:

- الاتجاه والمكان
- الحركة والتتابع
- قبل وبعد
- أعلى وأسفل

أما الله تعالى فمتعالٍ عن هذه الفئات، إذ خلق الزمان والمكان. فاللغة القرآنية لا تنقل الله إلى إطارنا المفهومي، بل تنقل المعنى إلى قدرتنا على الفهم.

ومن هنا يتقرر أصلان:

- الوحي يثبت الحقيقة والعلاقة، لا الكيفية والآلية

- اللغة أداة فهم لا أداة تعريف للذات الإلهية

تشبيه توضيحي (غير توصيفي):

لو خاطب كائن ثلاثي الأبعاد عالمًا ثنائي الأبعاد، لاضطر لاستخدام لغة ذلك العالم. فإذا قال: "اقتربت" أو "ابتعدت"، فهم أهل العالم أثر الفعل لا حقيقته الوجودية. فإذا حاولوا عكس اللغة لوصف الكائن، وقعوا في خطأ فتوي.

كذلك الأمر في الخطاب الإلهي. وخطأ الفئة يظهر بوضوح عند إسقاط الزمن على أفعال الله، كفهم "قضى" أو "أذن" على أنها أحداث متعاقبة في ذات الله. فالزمن مخلوق، وإسناد التابع إلى الله يستلزم التغير، وهو ممتنع.

ومن منظور علم الكلام:

- علم الله وإرادته وقضاؤه أزلية
- والتتابع إنما يقع في آثار الفعل لا في ذات الفاعل

وقد نتج عن إهمال هذا التفريق انحرافان:

1. التشبيه

2. التعطيل

أما المنهج القرآني فيجمع بين إثبات المعنى ونفي المماثلة.

5. وساطة الملائكة: نقل منظم للمعنى

بعد ترسيخ هذا الإطار اللغوي والوجودي، يمكن فهم الوساطة الملائكية لا بوصفها حركة مادية في الفضاء، بل باعتبارها نقلًا منظمًا للمعنى الإلهي داخل النظام المخلوق.

ففي تدبير الكون – من مطر، وموت، وقضاء، وحكم – يُجري الله أوامره بواسطة جبريل وسائر الملائكة. وهذا يختلف عن الوحي المباشر غير القابل للاعتراض الذي يُمنح للأنبياء. وفيما يتعلق بالقرآن، يقول الله تعالى:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: 193)

ويثير هذا العرض القرآني سؤالًا طبيعيًا: لماذا تُستخدم الوساطة الملائكية بدل تجاوزها كليًا؟ تشير بنية القرآن إلى آلية طبقية متدرجة، يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

- يُلقى الله المعنى (الروح).
- يتحوّل هذا المعنى إلى أمرٍ نافذ في عالم الملائكة.
- «تنزل» الملائكة بالأوامر (تنزل).
- ويكون «السماع» البشري في هذا السياق غالبًا سماع تلقّ وفهم، لا استماعًا حسيًا صرفًا.

ويعمل هذا النظام الملائكي بوصفه شبكة تواصل مننظمة، تتسم بما يلي:

- تراتبية في السلطة داخل عالم الغيب،
- نقل مشهود يرسخ الحقيقة ويثبتها،
- تقوية تدريجية لقلب النبي،
- ونموذج بنيوي للحضارة الإنسانية يقوم على التنظيم، والتفويض، وتخصيص الأدوار.

وعليه، فإن تدبير الكون يجري عبر نقل دلالي لا عبر انتشار إشارات مادية. فالمعنى يوضع في قلب الملك، ثم يبلغ للنبي في صورة قابلة للإدراك، سواء عبر الرؤية، أو السماع، أو الوعي التجريبي المباشر، دون اختزال العملية في حركة مادية في المكان.

6. محاولات اعتراض الجن: نظام الأمن الكوني

قبل بعثة النبي محمد ﷺ، حاول الجن اعتراض بعض عناصر القضاء الكوني، لا جوهر الوحي النبوي نفسه. ويصف القرآن محاولاتهم بأنهم كانوا يلتمسون «مقاعد للسمع» (مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ)، فيواجهون «شُهَبًا» و«جِرَاسَةً شَدِيدَةً»، في دلالة على أن السماء كانت محروسة بإحكام. وتشرح التفاسير الكلاسيكية أنهم كانوا يتخذون مواقع في السماء، أو عند مستوى السحاب، لالتقاط شذرات من الأخبار، ثم يخلطونها بالكذب. والنقطة الجوهرية هنا أن الجن لم يكونوا يسعون إلى أصوات مجردة، بل إلى معلومات.

وبلغة معاصرة، كانوا يحاولون اختراق شبكة اتصال كونية والتنصت على تدفق بيانات، لكنهم ووجهوا ب«جدار ناري» إلهي متمثل في الشهب والحرس. ويشير العلماء إلى أن هذا النظام الأمني تغير بصورة حاسمة مع نزول القرآن، إيذاناً بإغلاق المجال وحماية السلطة النبوية وحصانته.

7. عالمية اللسان: خطاب غير عربي بلغة عربية محكمة

من السمات اللافتة في القرآن الكريم عرضه لأقوال شعوب متنوعة—من المصريين، والعبرانيين، والآراميين، والسبئيين، وأقوام عاد وثمود ومدین—إلى جانب الحوارات التي جرت مع الشيطان والملائكة، وكل ذلك بصيغة عربية فصيحة في أرقى صورها الكلاسيكية. وتقدم شخصيات مثل نوح، وموسى، وإبراهيم، وفرعون، والسحرة، وأهل الكتاب، ولقمان، وملكة سبأ، وأصحاب الكهف، من خلال خطاب مصاغ بأعلى درجات الإتقان اللغوي القرآني.

وهذا يثير سؤالاً لغوياً وفلسفياً لا مفر منه:

هل قام الله تعالى «بترجمة» أقوالهم إلى العربية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف أمكن الحفاظ على هذا

الكمال البلاغي، مع أن الترجمة—بحسب المقاييس البشرية—تكاد لا تخلو من فقدان أو تحريف أو اختزال في المعنى؟

يقدم الإطار النظري الذي طوره هذا الفصل جوابًا منضبطًا وامتاسًا: فالقرآن لا يترجم الأصوات، بل يُعبّر عن المعاني. وما يُصاغ بالعربية ليس المخرجات الصوتية لأقوال تاريخية بعينها، بل المحتوى المعرفي والقصدي الحقيقي الذي كان قائمًا في أذهان المتكلمين أنفسهم. والله تعالى، الذي يعلم المعنى قبل اللغة وبمعزل عنها، يُعبّر عن هذا المعنى مباشرة في العربية القرآنية، الوعاء المختار للوحي الختامي.

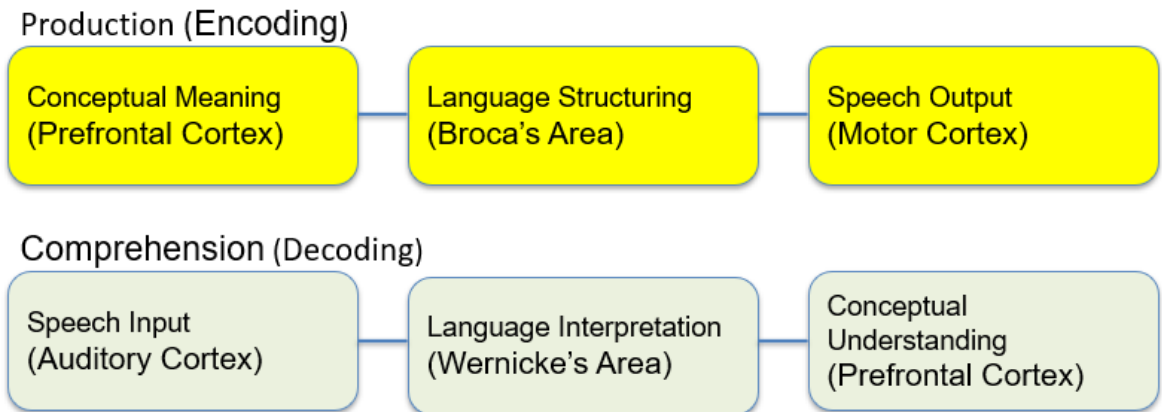
- ويفسّر هذا النموذج عددًا من الخصائص القرآنية التي تبدو محيرة لولا ذلك، منها:
- أن الصياغة القرآنية تتجاوز ما يمكن لأي ترجمة بشرية بلوغه
 - أن الحوارات المسجّلة تحمل طبقات من الدلالة تتجاوز النقل التاريخي الحرفي
 - أن القرآن يحافظ على انسجام داخلي كامل رغم اقتباسه لأقوال عبر أمم ولغات وعصور مختلفة

ولهذا يصف القرآن نفسه بقوله تعالى:

﴿بَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

أي مؤكدًا وضوح البيان والهداية، لا حفظ الأصوات الأصلية على نحو أرشيفي. فالقرآن ليس متحفًا للأقوال التاريخية، بل وحيًا دلاليًا مصوغًا في أسمى لغة اختارها الله تعالى.

وفي هذا السياق، تقدّم معطيات علم الأعصاب المعرفي المعاصر تشبيهًا إيضاحيًا—من دون أن تعيد تعريف الوحي أو تفسيره تفسيرًا ماديًا. فكما يوضحه الشكل (1)، يعمل اللغة البشرية ضمن بنية عصبية ثنائية الاتجاه: ففي إنتاج الكلام، تنشأ النشاطات المفهومية المستقلة عن اللغة في مناطق معرفية عليا، ثم تُنظّم لغويًا وتُجسّد صوتيًا. أما في الفهم، فيجري المسار بالعكس: يُعالج المدخل الصوتي، ثم يُفسّر لغويًا، ثم يُعاد بناؤه على مستوى المعنى. وتؤكد هذه البنية أن اللغة تعمل كطبقة ترميز وفك ترميز، لا كمصدر للمعنى ذاته.



الشكل (1): المسارات العصبية لإنتاج اللغة وفهمها

ولا يهدف هذا النموذج العصبي إلى تفسير الوحي أو اختزاله في عملية بيولوجية، بل إلى توضيح شروط التلقّي الإنساني: كيف يمكن للمعنى أن يسبق الصياغة اللغوية، من دون أن يستلزم ذلك أن يكون الوحي نفسه عصبيًا أو صوتيًا أو زمنيًا. ومن ثمّ، فإن وظيفة الشكل تظل إيضاحية بحتة، مع الحفاظ التام على التأكيد القرآني بأن التواصل الإلهي يصدر من خارج الصوت، والبيولوجيا، والتسلسل المادي.

ويمكن تلخيص العملية على النحو الآتي:

- البشر (بما فيهم الأنبياء) يُنشئون أفكارًا ونوايا
- الله تعالى يعلم المعنى الخالص في تمام عمقه وكماله
- ويُعبّر عن هذا المعنى مباشرة في العربية القرآنية

فالنتيجة ليست ترجمة، بل بيان كامل: صياغة محكمة لحقائق خالدة في اللغة الختامية للوحي. والمبدأ الحاكم هنا حاسم:

- المعنى يسبق اللغة
- اللغة وعاء
- والله يُكَمِّلُ الوعاء ليتناسب مع المعنى

8. الفكر واللغة: استقلال وتوافق

تشير الدراسات التجريبية في علم الأعصاب واللغويات العصبية على نحو متكرر إلى أن تفعيل المعنى يسبق غالبًا اختيار الأشكال اللفظية المحددة. وتُظهر أبحاث التصوير الدماغية أن التحضير المفهومي قد يحدث قبل التعبير اللغوي وباستقلال عنه، كما تُبين دراسات الإدراك غير اللفظي، والاستعارة، والتصوير الذهني، والتفكير المجرد، أن المعالجة المفهومية الغنية ممكنة من دون تلقّظ صريح.

ولا تفسّر هذه النتائج الوحي، ولا تختزل المعنى في النشاط العصبي، بل تكمن قيمتها في موضع آخر: إذ تثبت أن العقل الإنساني ذاته يعمل وفق بنية «المعنى أولاً»، حيث تؤدي اللغة وظيفة الوعاء لا المصدر. وهذا الفصل البنيوي يجعل الادعاء القرآني—على مستوى التلقّي الإنساني—مفهوميًا، وهو أن المعنى يمكن أن يُمنح مباشرة ثم يُعبّر عنه لاحقًا في صيغة لغوية مُحكّمة.

في هذا الإطار، تعمل اللغة كواجهة بين المعنى الداخلي والتواصل الخارجي، لا كمنشأ للمحتوى. وبناءً عليه، فعندما يقدّم القرآن نفسه هدايةً مصوغة بالعربية، فإنه لا يفترض اعتماد المعنى الإلهي على اللغة، بل يدلّ على أن اللغة قد اختيرت وكُمّلت لتحمل هذا المعنى بأقصى درجات الوضوح، والثبات، والقدرة الحضارية. إن هذا التوافق بين الوحي القرآني وبنية الإدراك الإنساني القائمة على أولوية المعنى لا يُذيب اللاهوت في علم الأعصاب، بل يحافظ على تمييز منهجي ضروري: فالعلم قد يضيء جانب التلقّي الإنساني والتعبير، في حين يظل الوحي قائمًا على المبادرة الإلهية المتعالية عن الصوت، والإشارة، والبيولوجيا. وهذا التمييز شرطٌ للحفاظ على الانسجام العقلي والانضباط العقدي معًا.

ومتى أُفِرَّ بأن الفكر يسبق الصيغة اللغوية في الإدراك الإنساني، وأن الوحي فعلٌ إلهي قائم على المعنى ابتداءً، لم يعد من الممكن اعتبار اللغة مصدر المعنى، بل وعاءه. ومن هنا، لا يبقى السؤال: كيف يتولّد المعنى؟ بل: لماذا اختيرت لغة بعينها لحمله؟ وهو ما يقود مباشرة إلى بحث سبب نزول القرآن بالعربية

9. لماذا أنزل القرآن باللغة العربية؟

إذا لم تكن اللغة مصدر المعنى بل وعاءه، فإن الصيغة اللغوية للوحي لا بد أن تُفهم على أنها اختيار مقصود، لا ضرورة عَرَضِيَّة. ومن ثمّ، فإن التعبير العربي للقرآن ليس نتاج ظرف تاريخي، ولا مجرد تكيف مع جمهور النبي ﷺ، بل اختيار واع منسجم مع طبيعة الرسالة ذاتها. فالسؤال ليس: هل كان يمكن أن يُنزل القرآن بغير العربية؟ بل: لماذا اختيرت العربية لتحمل الصياغة النهائية العالمية للمعنى الإلهي؟

ويمكن تقريب هذا المعنى بتشبيه السمفونية. ففي العمل السمفوني، يُكتب النوتة لكل الآلات، بما يمكن الأوركسترا كاملة من تجسيد قصد المؤلف بأقصى درجات الغنى والتعقيد. أما المقطوعة المكتوبة لآلة واحدة، فتبقى محدودة الإمكانيات، ولا يمكن نقلها إلى آلات أخرى إلا بتعديلات كبيرة.

كذلك فإن العربية—وخاصة في التلاوة القرآنية—تجمع طيفًا واسعًا من الخصائص الصوتية، والأنماط الإيقاعية، والدقائق الصرفية والنحوية، على نحو يتوافق مع مبادئ عامة معروفة في علم الأصوات والتصنيف اللغوي. وهذا ما يجعل بنيتها الصوتية والبلاغية قادرة على التأثير والتلقّي عبر خلفيات لغوية متعددة.

وبهذا المعنى، يعمل القرآن العربي بوصفه «النوتة السمفونية الكاملة» للوحي، حافظًا أعلى كثافة ممكنة من المعنى ودقته. أما الترجمات، فتماثل توزيعات مدرّسة لآلات بعينها: تنقل الهداية الأساسية بأمانة، لكنها لا تستطيع أن تحتفظ بجميع الطبقات الصوتية، والإيقاعية، والبلاغية التي يتميز بها الأصل العربي.

10. الدلالات الحضارية

يتضمن نموذج التواصل القرآني دروسًا عميقة لتصميم الحضارات وبنائها:

1. أمن المعلومات

تصوير السماء المحروسة، والحراس، والشهب المحرقة يقدّم نموذجًا لقنوات اتصال آمنة تمنع الاعتراض غير المصرّح به، على نحو يُشبه التشفير، والجدران النارية، وتشويش الإشارات في الأنظمة المعاصرة. فالكون يُقدّم بوصفه بيئة تُحاط فيها المعلومات الحساسة بأقصى درجات الحماية.

2. الحوكمة متعددة الطبقات

تدقق الأمر الإلهي عبر مراتب الملائكة يقدم نموذجًا كونيًا للإدارة الهرمية ذات خطوط السلطة والمسؤولية الواضحة. ويجسد هذا النموذج مبادئ التفويض المنضبط، وتخصيص الأدوار، والمساءلة في المؤسسات الإنسانية.

3. التواصل القائم على المعنى

بفصل المعنى عن الإشارة، والتركيز على النقل الدلالي، يستبق النموذج القرآني موضوعات مركزية في نظرية الاتصال، والعلوم المعرفية، وحتى المعالجة التطبيقية للمعلومات في الحوسبة. فالعبرة ليست بالوسيط، بل بسلامة المعنى.

4. اللغة بوصفها وعاءً حضاريًا

إن التعبير عن المحتوى المعرفي بلغة عربية بليغة يُظهر قدرة اللغة على أن تكون وعاءً للرؤية الكونية، والأخلاق، والتشريع، وبناء الحضارة. فاللغة العربية هنا ليست مجرد شفرة، بل شكلٌ مُهذَّب لحمل الهداية الإلهية وصونها.

5. الوحي بوصفه بنية معرفية

يعمل القرآن باعتباره بنية معلوماتية متكاملة: معنى من الله، ونقل عبر جبريل، وصياغة بالعربية، وحماية من الاعتراض، وترسيخ لمبادئ حضارية. ولا يدعي أي نظام معرفي بشري امتلاك هذا التكامل الميتافيزيقي واللغوي والمعرفي في آنٍ واحد.

11. الخاتمة

لا يقدم القرآن أطروحاتٍ لاهوتية فحسب، بل يكشف عن مخططٍ شامل لكيفية تشكّل المعنى، ونقله، وحمايته، وتسخيرها في بناء الحضارة. ومن خلال التمييز بين المعنى واللغة، وبين المحتوى الدلالي والإشارة، يعرض الوحي بوصفه نظامًا معلوماتيًا متماسكًا يدمج الميتافيزيقا، واللسانيات، والإدراك، والغاية الحضارية. فالقرآن ليس نصًا فحسب، بل هو العمارة المُنزلة للتواصل الإلهي في أبلغ صور التعبير الإنساني، يوجّه البشر إلى فهم رسالة الله، وإلى إدراك طبيعة المعنى ذاته.

12. مقترح لأبحاث مستقبلية

من النتائج المهمة للنموذج القائم على أولوية المعنى، الذي طُوّر في هذا الفصل، إمكانٌ نظري لظهور صيغ مُساعدة بالحاسوب لعرض المعنى القرآني تتجاوز الترجمة التقليدية المعتمدة على النص والصوت. وتشير أبحاث حديثة في علم الأعصاب والتصوير العصبي إلى أن بعض أنماط النشاط الدماغي المرتبطة بإدراك اللغة وإنتاجها يمكن – جزئيًا – استنتاجها باستخدام أدوات مثل تخطيط كهربية الدماغ (EEG) والتصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI)، بما يسمح باستقراء جوانب محدودة من المحتوى اللغوي المقصود أو المُدرَك.

وفي سياقٍ منضبط أخلاقياً، صارم منهجياً، يمكن تصوّر دراسات ترصد البصمات العصبية لقارئٍ متقن يتلو القرآن بنية الأداء الصحيح مع مراعاة أحكام التجويد، أو نشاط دماغٍ مستمعٍ منصتٍ لتلاوة قرآنية صحيحة. ومن حيث المبدأ، قد تحاول أنظمة مستقبلية الربط بين هذه الأنماط العصبية ومخرجات لغوية منظمة بلغات أخرى، لا عبر ترجمة النص العربي مباشرة، بل من خلال مواءمة التمثيلات العصبية للمعنى مع نماذج دلالية متقدمة.

ومن الضروري التأكيد على أن هذا المسار – إن طُرح أو جُزّب – لا يمسّ البتة المكانة الوجودية للقرآن بوصفه كلام الله غير المخلوق المنزل بالعربية. فأى مخرجات تنتج عن هذه الوسائل ستظل تفسيرات بشرية منشأة، لا القرآن نفسه، ولا تملك أي سلطة شرعية. وأقصى ما يمكن أن تؤديه هو أن تكون أدوات تجريبية لاستكشاف إمكان تقريب تمثيلات أغنى وأكثر حساسية للسياق من المعنى القرآني، عبر دمج معطيات علم الأعصاب، واللسانيات، والذكاء الاصطناعي.

وإذا ما أخذ هذا المسار البحثي بجدية، فإنه يتطلب رقابة أخلاقية صارمة، ووضوحاً عقدياً، وتحفظاً منهجياً. وتكمن قيمته لا في إعادة تعريف الوحي، بل في اختبار البصيرة القرآنية الأوسع التي طُرحت في هذا الفصل: أن المعنى يسبق الصيغة اللغوية، وأن الرسالة الإلهية تبلغ الوعي الإنساني عبر طبقات من الترميز يمكن – من حيث المبدأ – دراستها، دون أن يختلّ الفارق الجوهرى بين كلام الله والتفسير البشري له.

عن المؤلف:

الدكتور ممدوح محمد سلامة هو زميل هندسي سابق في إحدى شركات النفط الكبرى، و زميل مدى الحياة في الجمعية الأمريكية للمهندسين الميكانيكيين (ASME).

حصل على درجة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية بامتيازٍ عالٍ من مصر، ودرجتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة الميكانيكية من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT).

قام بتأليف أكثر من 150 ورقة بحثية تقنية، وحصل على 25 براءة اختراع، وحرر أكثر من 30 من وقائع المؤتمرات الدولية، كما شغل منصب رئيس عدة مؤتمرات دولية متعلقة بالتطويرات البحرية والقطبية.

يُعدُّ ممدوح سلامة متحدثًا دائمًا في مركز مريم الإسلامي، حيث يُلقي خطب الجمعة، كما يعقد حلقات علمية (حلقات ذكر) خلال عطلة نهاية الأسبوع بعد صلاة الفجر.

كتب العديد من المقالات حول الإسلام التي نُشرت في عدة صحف، كما ألقى العديد من المحاضرات أمام مجموعات مسلمة وغير مسلمة حول هذا الموضوع.

قام بنشر كتاب بعنوان " صورتك " في مرآة الإسلام " والذي تم مراجعته واعتماده من قبل اللجنة الدينية في الأزهر (مصر) لتوزيعه في الغرب .

وهو يعمل حاليًا على نشر كتب أخرى وهي :

1- تدبر القرآن من خلال عدسة المصطلحات الرئيسية.

2- سيرة الرسول ﷺ.

3- تأملات في مضامين سور القرآن الكريم.

4- التواصل الإلهي مع المؤمنين.

وتُعد هذه الكتب خلاصة محاضراته التي ألقاها في مسجد مريم ومراكز إسلامية أخرى.

Abstract

This chapter examines Qur'anic communication as an integrated epistemic framework that connects meaning, language, ontology, and civilizational formation. It advances the central thesis that Qur'anic revelation is grounded in the primacy of meaning over signal, and that divine communication occurs through direct semantic bestowal upon human consciousness rather than through acoustic transmission or material mediation. Through close analysis of key Qur'anic passages, the chapter elucidates the fundamental distinction between creation (*khalq*) and command (*amr*), and explores the implications of describing revelation as a "Spirit from the command of Allah," thereby establishing a non-material model of revelation.

The chapter further addresses the problem of language used to describe divine action, developing the concept of ontological asymmetry between the divine Speaker and human linguistic categories. It argues that spatial, temporal, and action-based expressions attributed to Allah function as epistemic accommodations to human cognition rather than ontological descriptions of divine modality. In doing so, the Qur'anic method is shown to avoid both anthropomorphism (*tashbīh*) and negation (*ta'ṭīl*), affirming meaningful divine attributes while categorically denying likeness or mechanistic interpretation.

In addition, the chapter analyzes angelic mediation as a structured transmission of meaning within the created order, and examines attempts by the jinn to intercept elements of cosmic decree as an informational, rather than acoustic, phenomenon—revealing a Qur'anic model of secure communication. It also investigates the Qur'an's presentation of non-Arabic speech in eloquent Arabic, concluding that the Qur'an does not translate historical sounds but articulates pure cognitive meaning in its optimal linguistic vessel.

Building on these foundations, the chapter derives broader civilizational implications concerning information security, multi-layered governance, meaning-centered communication, and the role of language in shaping worldview and social order. It concludes with a methodologically cautious and ethically constrained research outlook that considers, in principle, how modern cognitive and computational tools might explore representations of Qur'anic meaning—while maintaining a strict and non-negotiable distinction between uncreated divine speech and all forms of human interpretation.